

كتاب المقامات العوالية، في الأخبار العلالية، على اللغة المغربية

يقول عبید الله القاهر الباری، محمد بن علی بن الطاهر الجباري، الحمد لله الذي هدانا للهداية، وأرشدنا للإستقامة، و ملك أعنتنا فقهر، و عفى عن عباده الصالحين و تجاوز عن سيئات من زاغ منها و غفر، تنزه عن أن يحيط به الوهم والترديد أو يكفيه النظر، و تكفل بإبساط النعم و تقسيم الأرزاق و إجابة المضطر، أحمده حمدا كثيرا كما استوجب علينا تعظيم شأنه و أمر، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إعزازا لمن آمن و شكر، و أشهد أن سيدنا و نبينا و مولانا محمدا عبده و رسوله الكريم المبر، صلى الله عليه و سلم و شرف و على آله و أصحابه السادات الدرر، صلاة وسلاما دأيمين متلازمين ما اتصلت عين بنظر، اللهم إني أعوذ بك من الباطل والطغيان و سوء الظن مع البشر، و أتحصن بك من مكر خاذع و قول فادع و لسان قاطع ومفتر، واحتفظ بك من كيد النفس والشيطان فإنهم داعيان للشقا والغرر، ونستغفرك من خطط قدم وفعلة يد و كلام معر، واستوهب منك إجابة الدعا بتوفيق إرشادك المشتهر، و اسبل علينا غطا من ردا جلالك و سترك المستبهر، و احفظنا بحفظك يا ذا الجلال و الاكرام يوم لا عثرة تقى و لا ينفع المفر، و لا يلحق بنا تغير، إنك على كل شي قدير، أما بعد فإني لما سيقنت بي الاقدار لجولان الاماكن، جعلت استقراري بمدينة بلاد سان لوسيان، فوجدتها ذات قيمة سنية، موجودة بوطن الظليمة، فصرت كمن جلس بين فرشين، و توسد مخدتين، فشرعت أهوى الخلطة، مع بعض من طالبة نجع الغرابة، و أتقلب طورا مع بعض من عرش الزمالة، و أخرى أحاكي بها الظهره و الغابة، و قد طال ما بحثت عن إفادة بعض العلوم، فلم أجد مرشدا عليه و لا من إليه يقوم، حتى خلت أن شجرة العلم لم يغرس ببلادهم، و نبذة الأدب لم يزرع بترابهم، و استصعب عليّ استجاده، و لم ترم نفسي عدم

استأصاله، فحوقلت حينئذ و ضاق عني ذرعا الاتساع، وكفيت الغربة و الكربة صبرا واستطاع، بعد أن كنت أردت الفرار عنها، فلم أر طاقة للانتقال منها، فما لبثت على ذلك إلا قليلا، واما متعضدا صبرا جميلا إذ بي وجدت ابن عيسى العوالي، يتقلب بالوصاف و الاحوالي، فمزة يحضر مع الطلبة في الجنايز، وطورا يقصد خطبة العجايز، وتارة يميل إلى مجالس العلامة، واخرى يحضر مع كبار الجماعة، وساعة يأتي راكبا مع الميعاد، ويتخاللا مع الامرا و القياد، و يوما يظهر كأنه مؤالا، و في الصيف يجور مدرجلا بمنجله بحسب شؤالا، بيد أنه مع تقلب أوصافه أنه من عرب البربر قوالا، فرميت النظر عليه، وتسببت في الخلطة إليه، و رجعت كما قال الحريري في أقواله، و لله دره و اماله، حيث قال في أبياته (طويل):

فكنت به أجلو همومي و أجتلي * زمني طلق الوجه متلمع الضيا
أرى قربه قربي و مغناه غنية * و رؤيته ريا و محياه لي حيا

ثم إنني امتزجت معه كما يتمزج الما في اللبن، وانطلقت بدواخله كالحكة في الجبن، وانجلت عني إزالة الغين، فلما رايت من ارتكام ظلمات الجهل، و انقطاع الأدب بهذه الوساطة على الأصل، تذكرت ما سمعت عن بعض الثقة والامان، مما قيل فيما غير من الزمان، ان رياسة الرجال الصناديد، من بلاد الشرق لما وصلوا لهذه الاوطان، وامرو بفتح تلك المدن، بتحزيب أصحاب هذه البلدان، بعد معاركهم و محاربتهم إيّاهم، أن يدخلوا في الاسلام طوعا، و محبة لاعلاهم، فلما عرفوا لذة لغتنا و فوايدها استعملوها، و مع ان كانوا يبعدوننا من قواعدها و عن صافي أصلها واستأصلوها، فقد حصل لها بسبب إدخالها بعض الالفاظ الملحونة، من لغاتهم المختلفة المثبونة، مثل الشلحة والتمزيغية، و التوارقية و الوارقلية، اختلاف عجيب و اتساع، ليس له بمزيد الاشفاع، فبإضافة لغتهم إلى لغتنا لم يتركوا ساير ألفاظ اللسان المضبط، حتى صاروا العلما لا يفهمون لها نمط مرتبط، لا سيما

ناس الشَّرْق الذين لم يسكنوا هنا، و لم يخالطوا المستعربة من أوطاننا، لأنهم لا يعثرون على هذه الألفاظ في ساير كتبهم العظام، و لا يخفى أنه في بلاد الغرب كثير من فصحاء الكلام، منهم المؤرِّخون و المدَّاحون والراويون، و الشَّيوخ أرباب التَّلحين والقوالون، و إنهم الآن ليست لهم شهرة عند العامَّة، و لا عند ناس الشَّرْق و لا المجانبية، فلَمَّا رايت خبو هذا المنهاج، وعجز و ميَّن صاحب العلاج، تضرَّرت و رمجرت، و تأملت و تتمَّرت، ثم إنني اتبعت الفكرة الهامدة، وامحنت القريحة الهانية، و عزمت لاتباه مرامه، اثنتا عشرة مقامة، أتلو فيها جملة من الالفاظ المستعملة، في ناحية القبلة و الظَّهرة، و في نجوع التَّل و الصَّحرا، عند ناس الديار و اهل الخيام، والبدائي والمدن والقرى والمقام، و للمشايخ و لطلبابهم، و اهل الصنایع و فلاحهم، على وسایل واحكام، و أحاجي مغربيَّة و أنظمة، و مواعظ و ألہية، و وقایع منجلیة، مما املیت جميعه على لسان ابن عيسى العوالي، و اسندت روايته إلى امحمد بن العربي، و أرجو من الله أن تكون تخليصا للفصاحة في الاوطان الغربية، وزيدة لتطريب قاريها بالنظريَّة، و إنِّي ألفتها على صفة المقامات، لأنها تفيدنا عن غيرها من المقالات، و لأن سلفي بذلك حايرون التفضيل و الإحسان، و الشُّكر الجزيل بلا فخر و لا إمان، العلامة بديع الزمان همدان، و أبو الفتح الإسكندري و ابن هشام، و العلامة الحريري و أبوزيد السروجي والحارث بن همَّام، فلا جرم أن عذري واضح، و عدم قدرتي فادح، و إنني لا طاقة لي للاستباحة ببحورهم، و لا درجة لي للارتقا لعلو منهاجهم، إلا إنِّي مددت إلى الله الأكفاف، و طلبت منه بالتَّضرع العفاف، و إن لا يجعلنا من النَّادمين، و لا يوجهنا إلى محضر المحرمين، فهو حفيظ الرعا، و مجيب الدعا، و ما قصدت بهذا المورد الذي استوردته، و الشان الذي استشأنته، إلا الاستطراب و الابساط، للطلبا المنورين و اهل النَّشاط، و لمن شاء إقصار الدقایق، فليطالع الرقايق، أو يبادر في النظر، و لعلَّه يجد في النهر، ما لا يجده في البحر، و سمَّيتها بالمقامات العواليَّة، في الأخبار العلالیَّة، على اللغة المغربية، و إلى الله استوجه بالنبي الشفيح، أن يحيطنا بحصنه المنيع، فهو نعم الموالي و نعم النصير، و إليه المرجع والمصير .